الفكر الصوفي الإسلامي وأصوله

بقلم: عبد العزيز بن عبد الله
أستاذ بجامعة محمد الخامس ودار الحديث الحسنية

التصوف الاسلامي يستمد عناصره السلفية من الكتاب والسنة ونلمس صورا حية لتعاريف التصوف التي أوصلوها الى الالف (1) في سيرة الصحابة والتابعين ولم يتخذ التصوف مراسمه الخاصة الا بعد القرون الاولى .

وقد اختلف في مصدر لفظة التصوف فقيل من الصوف أو الصفاء أو الصفة (2) ولعل قضية الاشتقاق مرتبطة بالفكرة التي تربط التصوف الاسلامي بالتصوف الهندي أو الافلاطوني أو المسيحي (3) وقد أرجع ماسينيون التصوف الى أصل اسلامي صرف هو القرآن ولكن نيكولسن لم يعتبر التصوف مجرد نتيجة للدراسات القرآنية (4)

---

1) طبقات ابن السبكي (ج 3 ص 239) التقط هذه التعاريف أبو منصور عبد القاهر البغدادي ورتبها تبعا لاصحابها حسب الحروف الهجائية .

2) ذكر كينون في مجلة Cahiers du Sud (ص 39) في مقال بعنوان علم الباطن في الاسلام L'ésotérisme de l'Islam ان لفظة صوفية مجموعة أحرف جفرية معناها الحكمة الالهية ونقل ميشو بيلير Michaux Bellaire في محاضراته (ص 5) رأي من يقول بان أصل الكلمة يوناني Sophos ونقل البيروني أن أصل الصوفية السوفية أي الحكماء Sophistes (راجع التذكرة الطاهرية ج 6 ص 239 والفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي ص 240) .

3) حاول طه حسين في « ذكرى أبي العلاء» ارجاع التصوف الاسلامي الى أصل هندي وكذلك كولدزيهر في كتابه Le dogme et la loi de l'Islam (العقيدة وقانون الاسلام (ص 134) ولعل طه حسين تاثر بما لاحظه الفريد فون كريمر من وجود عناصر هندوسية في نظريات المعري .

4) Legacy of Islam قانون الاسلام (ص 112) حيث لاحظ أيضا أنه اذا صح ان بعض المتصوفة كانوا بين خواص دارسي القرآن فان التعميم لا يصح وقد ذكر كارا دوفوفي «مفكرو الاسلام» أن التصوف ليس قطعة من مذهب الفارابي الفلسفي وانما ظاهرة عرضية فيه » ولا يخفى ان فلسفة مدرسة الاسكندرية وهي الافلاطونية الحديثة قد تاثرت بالتوراة والانجيل كما سنرى ويتجلى هذا التاثير حتى في رسالة حي بن يقظان لابن طفيل حيث وصف بطل القصة (ص 114) بانه « لما فني عن ذاته وعن جميع الذوات ولم ير في الوجود الا الواحد القيوم وشاهد ما شاهد عاد الى ملاحظة الاغيار عندما أفاق من حاله تلك التي هي شبيهة بالسكر خطر بباله أنه لا ذات يغاير بها ذات الحق وان حقيقة ذاته هي ذات الحق بل ليس ثمة شيء سوى ذات الحق » .

وتشتمل المعطيات الصوفية على عنصرين : أحدهما وليد الفكر الانساني وهو حظ مشاع بين البشرية يستمد من الفطرة الخالصة التي لم تمازجها شوائب منطقية والعنصر الثاني سماوي المحتد انبثق عن الوحي الالهي وتبلور في الكتب المنزلة .

ويقول كثير من نقاد التصوف الانساني بوجود تقاليد روحية traditions انتقلت من عصر الى عصر بواسطة الرسل والانبياء كآدم وشيث وادريس ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وقد اكد القرآن وحدة التشريعات السماوية منذ نشأة الخلق (شرع لكم من الدين الآية) فكانت مصدرا لتلك التقاليد .

وقد استطاعت شعوب ما قبل التاريخ ان تتواصل عن طريق القوافل التجارية أو مواكب الغزو فانتشرت كثير من المظاهر الحضارية بين النهر الأصفر بالصين ونهر السند بالهند ودجلة والفرات والنيل الى شواطىء البحر الابيض المتوسط (5) وسنضرت لذلك أمثلة بالنحل والملل التي ظهرت في هذه المناطق على يد متنبئين حاولوا الاقتباس من القوانين السماوية المعروفة بتشريعات نوح Lois noachides والتي تتلخص في سبعة مبادىء(6) تلك المبادىء التي لم تتبلور الا بعد نزول التوراة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد مما سبب ظهور كثيرين أمثال كونفوسيوس (551 – 479ق.م) ولاوتسو بالصين وبودا (القرن الخامس) وزردشت في فارس (النصف الثاني من القرن السادس) أو فلاسفة الهيين مثل فيثاغورس (580 – 500ق.م) في اليونان ومن الصدف الغريبة أن هذه الحركة الروحية لم تنبثق في العالم الا منذ القرن السادس قبل الميلاد وكان مركزها الاساسي هو ايران وبابل منبثق الديانة الابراهيمية (7) حيث تعزز الفكر الديني بتراث العبرانيين الذين نقلوا أسرى الى بابل في عهد نبوختنصر الثاني الاكبر (605 – 562 ق.م) وقد تحدثت التوراة عن الصلات المهمة بين اليهود والفرس (8) في هذه الفترة .

وسنستعرض الآن المظاهر البارزة في مختلف الملل والنحل لمقارنتها بالديانات السماوية .

---

5) تحدث جوفري بيبي عن وضع العالم في عام 2000 ق. م فلاحظ أن ما كان يجري آنذاك في تيبة بمصر كان له اثره بواسطة الاسفار والقوافل التجارية والهجرات في غابات سكاندينافيا وهضبات اسبانيا وقرى الصين الشمالية (راجع البحث التالي حول التصوف الصيني) .

6) هي محاربة الاشراك وسفك دم الانسان والفسق والقذف والسرقة ونزع عضو حيوان حي لاكله مع الامر باقامة العدل .

وقد حدثتنا التوراة عن بلاد عيلام (السوس القديمة أو خوزستان أو الاهواز) وهي اقدم اجزاء ايران سكنها بنو سام وعيلام هو الابن الاكبر لسام بن نوح (سفر التكوين ج 1 ص 22) وهو ابو الفرس ولعل لذلك اثره في حضارة ايران وفلسفتها الروحية منذ الالف الرابعة قبل الميلاد .

7) ولد سيدنا ابراهيم في قرية فدان ارام قرب بابل التي تقع على بعد 160 ك. م من بغداد ومعلوم أن الشعب المادي في ايران استولى على نينوى عاصمة اشور Ninive عام 612 ق. م وتحالف مع الكلدانيين والمصريين واحتل بابل .

8) يذكر المؤرخون (راجع مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج 2 ص 378 تاليف طه باقر طبعة 1956) ان من المصادر المهمة في تاريخ فارس ما جاء في التوراة عن احوال فارس في العهد الاخميني (550–331 ق. م) من الصلات المهمة بين اليهود والفرس بعد ان فتح كورش بابل والتوراة المشار اليها هنا اختلفت الانظار في أصلها فاهل الكتاب يرون انها هي السفر الذي نزل على موسى عليه السلام حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد وعلى هذا يكون ورود ذكر فتح الفرس البيت المقدس من الاضافات وهي نظرية القائلين بان النص الاصلي اضيفت اليه زيادات بعد سيدنا موسى عليه السلام ومنهم من يؤكد ان تاريخ ظهور هذا السفر المضخم هو عام 1753 م .

فـــــارس

دخل الفرس في الاسلام وتبرزوا في العربية ولكن رواسب فكرهم التقليدي طبعت الدين الجديد بأصباغ انعكس فيها خيـال الفرس وأمثالهم وحكمهم فظهـرت نزعات ظريفة فتت في أصالة الاسلام تحت شعار التشيع والتصوف .

عبد الفرس مظاهر الطبيعة وفرقوا بين آلهة الخير وآلهة الشر ورمزوا للنور بالنار التي ألهب اوارها قرائح شعرائهم .

الزردشتية : وتجددت مقومات هذا الدين بظهور زردشـت Zoroaster الـذي رجـح جـاكسـن Jackson في كتـابـه Life of Zoroaster انـه عاش نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد (لا عـام 6000 ق.م.) ومات حوالي 583 ق.م. بعد أن انتقل من اذربيجان لنشر فلسفته في بلخ ثم فارس كلها بعد اعتناق الملك بشتاسب لدينه وقد وحد زردشت الارواح الخيرة في اله واحد هو « اهورا مزدا كما حصر قوى الشر في شيء واحد هو « دروج اهرمن » وله كتاب اسمه Avesta (ايستاق حسب المسعودي) يحتوي على احدى وعشرين سورة (200 4 ورقة) قد حـرر بالفارسيـة القديمـة المجهولة وفقد معظمها عدا مواعظ مبعثرة حول الشعائر وقوانين المعبد ويزعمون ان الخليفة عمر عاملهم معاملة أهل الكتاب لتوحيدهم .

ومن مبادئه ان النور أصل الخير والنظام والحق ويمتد ذلك الى الحيوانات النافعة بينما يعتبر الظلمـة منبثق الشرور وفي سفلياتها الحشرات والهوام التي يجب قتلها وقد « خلق » مزدا الانسان حر الارادة للانحيـاز لجبهة الخير والهمه اشرف الاعمال كالزراعـة وتربيـة الماشية وللانسان حياتان (الدنيا والآخرة) قد أحصيت أعماله في كتاب ونصب له الصراط وهو للكافر أرق من الشعر ومآله الجنـة أو النـار أو الاعـراف ان تعادلت الحسنات والسيئات وزعم زردشت انه رسـول أنـذر بقرب الساعة وبحث في النفس التي خلقها الله بعد ان لم تكن وهي تنال السعادة الابدية بكل حرية اذا حاربت الشرور ولها قوى (9) كالضمير والوجدان والعقل والروح وقد استخلصت دائرة المعارف البريطانية مـن أقوالـه لنويته بينما ذهب الشهر ستاني والقلقشنـدي وهـوج Haug الى وحدانيته من حيث العقيـدة (فجـر الاسلام لاحمد أمين) .

وقد ازدهرت الزردشتية أيام الكيانييـن فتقلص ظلها بعد انتصار الاسكندر عام 331 ق.م. ثم استرجعت مكانتها في عهد الساسانيين الذين دشن سنة 226م الى الفتح الاسلامي وما زال الزردشتيون الفارون بدينهم في الهند (بمباي) وهم الفرسيون Parsées وما كادت تقوم الدولة السامانية أواخر القرن الثالث الهجري بعد اسلام أمير بلخ سامان الزردشتي حتى انمحت آثار معابد النار في ولايات فارس (500 8 اليوم) .

المانوية : ولد ماني عام 215 أو 216م (10) واستمر مذهبه رغم الاضطهاد الى القرن العاشـر الميـلادي في مجموع آسيا وأوربا (11) والتعاليم المانوية مزيج مـن النصرانية والزردشتية فالعالم نشأ من النور والظلمـة وانبثق الخير عن النور والشر عن الظلام وازدوج الـه

---

9) قارن ذلك بما عند الصوفية .

10) البيروني في كتابه «الآثار الباقية» وهو أصح المصادر مع الفصل في الملل والنحل لابن حزم والملل والنحل للشهرستاني والفهرست لابن النديم والتاريخ لليعقوبي وسرح العيون لابـن نباتة حسب تأكيدات بـراون Browne في كتـابه A litterary History of Persa

ويقول ابن النديم والبيروني ان المانوية يطلقـون كلمة السماعين على من لم يرقوا الى الدرجة العليا في المانوية مقابل الصديقين الزاهدين في الدنيا وصديق عربية أصلها آرامي وهو صديقي Saddiqai وحورهـا الفرس الى زنديق فوصفت بها طائفة من المانوية ثم استعملت في المانوية جميعا (فجر الاسلام ص 109) .

11) يقـال بأن سان اوكستـان Saint Augustin ظل مانويا الى أن تنصر (فجر الاسلام ص 106) ونقـل ابن النديم عن بعضهم ان المامون كان مانويا وقد فنده ابن النديم والظاهر أن ذلك راجع لميل بعض المتكلمين الى ما رجحه المانويون عندما أثاروا مسائـل كالمعاد وهل هو بالجسم ام الروح وقـد سمى أنصار مانـي بالزنادقة كما يفهم من كلام ابن النديم الا انه استعمـل في معنى الالحاد عموما وأصله فارسي معرب (زاندكر) أي (دهري) (راجع شفاء الغليل ص 97) .

الخير والشر وامتزج العنصران في صراع عنيف وبينما كان زردشت يرى أن عالمنا عالم خير لغلبة الخير على الشر يبرز ماني شر المزيج فلذلك ترهبن وحرم النكاح استعجالا لفناء النوع البشري وتزهد ونهى عن ذبح الحيوان وزعم أنه النبي الذي بشر به عيسى مع إقراره بنبوة زردشت وقد قتله بهرام الاول وشرد اتباعه الذين تركزوا في بابل ثم سمرقند وعد منهم الجعد بن درهم (مؤدب مروان الحمار) وخالد القسري وصالح بن عبد القدوس وبشار بن برد .

المزدكية : ظهر مزدك في فارس حول سنة 487م وهو من نيسابور (الطبري) ثنوي امتاز بتعاليمه الاشتراكية والمساواة في المال والنساء لانهما اصل كل قتال علاوة على تشيعه لفكرة الزهد والقناعة وكاد المذهب يستاصل عام 523م ولكنه استمر طول العهد الاموي ويتفق ابو ذر معه في اشتراكية الاموال مستمدا ذلك من فهمه الخاص للقرآن رغم ما أشار اليه الطبري من ايماز ابن السوداء لابي ذر بذلك ، وعبد الله بن سبا هذا يهودي اتصل بمزدكية العراق أو اليمن ، ولاشك أن النظريات الزردشتية تحتوي على كثير من العناصر التي نجدها في الكتب المنزلة ومعظمها من الاسرائيليات التي تسربت الى الاسلام فكيف استطاع الايرانيون وفي ضمنهم زردشت التعرف الى معطيات الديانات السالفة الابراهيمية والموسوية ؟ ومعلوم أن سيدنا موسى عاش حوالي الرابع عشر قبل المسيح (12) وتلاه سيدنا داوود الذي نزلت عليه الزبور واسس بيت المقدس في القرن العاشر (1010 ـ 997ق.م.) ثم سليمان (973 ـ 930ق.م.) الذي كان لحكمته وفلسفته الروحية اثر قوي في الشرق كله وله صحائف وشروح للثوراة ومنها الامثال والمزامير ويذكر التاريخ أن غزاة ساميين انحدروا حوالي (3000ق.م.) من تخوم سوريا والجزيرة العربية فاسسوا مملكة الكلدان وعاصمتها بابل واميرها السادس حمورابي (1800 ق.م.) صاحب المجموعة القانونية في الاحوال الشخصية وكانت القوافل الكلدانية تصل الاسطول الكلداني في الخليج الفارسي باساطيل شعوب المتوسط ومنها العبرانيون وتتجه من الصحاري الى مدن دجلة والفرات

وفي عام (250 ق.م) اكتسح الاشوريون الذين عاشوا شمالي العراق وخضعوا لبابل ـ مجموع الشرق الادنى طوال ستة قرون وبلغت مملكتهم اوجها في القرن السابع ق.م. في عهد أشور بانيبال (669 ـ 626 ق.م.) الذي اكتسح مصر وبلاد الكلدان وكنس الاسلاب في عاصمته نينوى باسطا نفوذه من مضاب ايران الى الحبشة وحوالي (612 ق.م.) تكتل اهل بابل وماذي (شعب ايران) واسترجعت بابل نفوذها وبذخها وملكها الامير نبوختنصر الثاني الاكبر (605 ـ 562 ق.م.) غير أن الفرس ما لبثوا ان غزوا بامرة ملكهم كورش هذه البلاد اواخر القرن السادس فانهارت المملكة البابلية (539 ق.م.) وقد عثر على مكتبة أشور بانيبال الحافلة بآلاف الواح الآجر المكتوبة ونبوختنصر هذا هو الذي احتل بيت المقدس ونقل أهلها اسارى الى بابل حتى حررهم كورش المذكور فتم الاتصال من جديد بين الايرانيين والعبرانيين .

وقد فتح المسلمون العراق وفارس فتوطدت صلتهم بالنصارى والمزدكية والزردشتية كما انبثق غزوهم للشام عن معطيات جديدة هي من رواسب الحضارات التي تعاقبت على البلاد من فينيقية وعمورية وكنعانية ومصرية ويونانية ورومانية ، ثم اكتمل هذا المزيج بتراث مصر المتبلور في الاسكندرية مجمع المذاهب الفلسفية والطوائف الدينية وملتقى النظريات الشرقية والغربية وتعززت هذه المجموعة بأشتات من المؤثرات الرومانية كانت قد تسربت الى اقصى المغرب .

وبعد فتوح السند وبخارى وخوارزم وسمرقند أي منذ القرن الاول للهجرة انصهرت هذه العناصر في بوتقة جديدة مزجت المعطيات الاجتماعية والعقلية والدينية لاسيما وان الحكمة كانت ضالة المومن يلتقطها حيث وجدها وخاصة بعدما وحد الدين الجديد بين شعوب مختلفة اصبحت وجهاتها متناسقة تحت راية الاسلام فامست جزيرة العرب جزيرة المسلمين وامسى سكان بعض المراكز الجديدة كالكوفة يتكونون في اغلبهم من الموالي .

---

12) تشير المصادر الغربية الى أن بني اسرائيل خرجوا من مصر الى صحراء سيناء حوالي 1400 أو 1200 ق. م. حيث جمعهم سيدنا موسى وقادهم الى تخوم ارض كنعان وهي الارض الموعودة فنزلت الالواح التي تدعو الى وحدانية الله .

ومن العقائد الفارسية التى اقترنت ببعض ما راج فى صدر الاسلام اعتبار الملوك (13) مصطفين من الله للحكم وظله فى الارض وان كان الفارسيون انفسهم اقتبسوا هذه النظرية فيما يظهر من المبريين الذين نقلوا الى بابل فى القرن السادس قبل الميلاد معطيات الديانة الموسوية وقد نص القرآن على ذلك بقوله : « يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض الآية » وهذا هو الحق الالهى الذى عرف باوربا بـ Droit divin وقد تأثر الشيعة ببعض انظار الشعب الساسانى فى ملوكه كما اقتبس الرافضة من الثنوية واشع الفكر الفارسى فى خياله الخصب وروحه الفياضة من خلال قصائد شعراء الفرس الذين عبروا عن خوالج افئدتهم فى أوزان والفاظ غريبة ومن هؤلاء بنو يسار النسائى (اسماعيل ومحمد وابراهيم) وابو العباس الاعمى وموسى شهوات (وهما من انر بيجان) وكانوا شعوبيين قد اذكتهم عصبية العجمة ونفحتهم روح الفخر بامجاد الفرس وكان لهذا التأثير صداه فى نفوس شعراء العرب الذين نزلوا بفارس والعراق كالطرماح والكميت وجرير والفرزدق وازدوجت حكم العرب بامثال الفرس (بالاضافة الى حكمة اليونان (14) وتبلورت كثير من هذه العناصر فى الحان الغناء (15) ومجالس اللهو الفارسية التى ازدهرت فى المجتمع العربي فصفا الذوق الشعري ورقت حوشيه بالموسيقى المشجية .

وقد تمكنت عناصر عربية قبل الاسلام من الاتصال بفارس كالحارث بن كلدة الثقفى الذى قرأ الطب فى جند بسابور وطب بارض فارس (أخبار الحكماء للقفطي) .

وقد خلفت الدولة الساسانية طوال القرون الاربعة التى استمر فيها حكمها طائفة وافرة من الكتب شاعت فى العهد العباسى حيث برزت ثلة من التراجمة الفرس أشار اليهم ابن النديم (الفهرست ص 244) كعبد الله ابن المقفع (16) (صاحب كتاب تاريخ ملوك الفرس وكليلة ودمنة وسيرة مزدك والتاج وهو سيرة انو شروان والادب الكبير والادب الصغير واليتيمة) وآل نوبخت والحسن بن سهل والبلاذرى وغيرهم وقد ترجم كتاب زرادشت المسمى افستا مع شروحه وينقل عنه حمزة الاصفهاني (الفهرست ص 305) فتسربت العادات الفارسية الى المجتمع العربى ومنها يوم النيروز عيد الفرس ولبس القلنسوة وتنظيم مجالس الشراب والغناء وتغيير السواد بالخضرة في القلانس والاعلام وهو لون كسرى والمجوس (17) والقصص والتوقيعات والامثال .

ومن النقلة ايضا موسى ويوسف ابنا خالد وابو الحسن على ابن زياد التميمى وجبلة بن سالم واسحاق ابن زيد ومحمد بن الجهم البرمكي ومشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكرنى وزادويه بن هاشويه الاصفهانى ومحمد بن بهرام بن مطيار الاصفهانى وبهرام بن مردان شاه وعمر بن الفرخان .

اثر المسيحية واليهودية والفلسفة اليونانية فى الفكر الاسلامى

عندما ظهر الاسلام كانت معطيات الفلسفة اليونانية قد تطعمت بآراء الاسكندرانيين الصوفية تحت تأثير النظريات اليهودية والمسيحية وخاصة فيما وراء المادة وكانت المشاكل العقائدية موضوعة على البساط بشكل حاد لفت أنظار رجال الفكر فى المجتمع الاسلامى الجديد الذى اضطر الى خوض المعركة مسلحا بالقرآن والحديث

---

13) يلاحظ كثير ممن تعرض للشيعة مدى تأثرهم بالمذاهب الفلسفية والصوفية وكيف ارتبطت الاسماعيلية والتصوف الاسلامي بالنظريات الفارسية (راجع دراسات Ivanov وكوربان Corbin استاذ التصوف فى جامعة طهران) .

14) مثل ما ورد فى كتاب ابن مسكويه حول نظرية ارسطو فى ان الفضيلة وسط بين رذيلتين ونظرية افلاطون فى اسس الفضائل الاربعة (الحكمة والعفة والشجاعة والعدل) (راجع احمد امين : فجر الاسلام)

15) ذكر ابو الفرج فى الاغانى (ج 8 ص 149) ان سعيد بن مسجح المكى الاسود نقل غناء الفرس الى غناء العرب واضاف اليها فى الشام الحان الروم .

وأكد ابو هلال العسكرى فى ديوان المعانى « ان عبد الحميد الكاتب واصله من الانبار (حسب ابن خلكان) ج 1 ص 435) حول الكتابة العربية الى نمط جديد . »

16) نشأ ابن المقفع زرادشتيا ولم يسلم الا قبل قتله ببضع سنوات اى عام 142 (او 143 أو 145) .

17) الجهشيارى ـ الوزراء والكتاب (ص 396) .

والمنطق الصحيح ، وقد نشر اليهود والنصارى الثقافة الاجنبية بين العرب قبل الاسلام بقرون حيث أسس الاولون مستعمرات في يثرب وخيبر ووادي القرى واليمن ونشروا تعاليم التوراة فتسربت الى الاسلام باوسع نطاق على يد كعب الاحبار ووهب ابن منبه وكانت اليهودية قد تأثرت بالثقافة اليونانية نظرا لانصياع اليهود لحكم اليونان ثم الرومان في الاسكندرية وشواطىء المتوسط فامتزجت في الاسكندرية آراء الروم بآراء الشرق الاقصى واتصل الدين بالفلسفة وتساوق بحث الغربيين بالهام الشرق فكان اليهود حرصين على التوفيق بين الجانبين .

وينقسم التوراة او الكتاب المقدس Bible الى قسمين : العهد القديم والعهد الجديد فالعهد القديم يشتمل على سفر يوشع في استيلاء بني اسرائيل على فلسطين وسفر القضاة والحكام واربعة اسفار للملوك فيها اخبار شمويل وطالوت وداود وسليمان (18) وهو بالعبرانية (19) أما العهد الجديد فهو يحتوي خاصة على الاناجيل الاربعة ولغته هي اليونانية نقل اليها من طرف اثنين وسبعين من التراجمة العبريين ثم نقل الى اللاتينية وعثر على نسخة منه في القرن الرابع الميلادي لا تعترف الكنيسة بغيرها .

ويطلق اليهود التوراة على Pentateuque وهو خمسة أسفار (سفر التكوين أو الخلق وفيه قصص الانبياء الى يوسف ـ والسفر الثاني وهو الخروج أي خروج اليهود من مصر والسفر الثالث سفر اللاويين أي الاحبار وفيه الفرائض والحدود) والسفر الرابع سفر العدد وفيه شرائع وأخبار موسى في التيه وقصة البقرة والسفر الخامس التثنية أي اعادة الناموس Deutéronome (بمعنى تجديد نشر الشرائع المنسوبة الى سيدنا موسى)

اما التلمود فهو مناقشات مع شروح وقوانين يهودية وأفكار الاحبار في ألف عام في خصوص العلاقة بين الدين والدنيا وقد بدأ جمعه منذ القرن الرابع للميلاد الى نهاية السادس وقسمه الاول : المشنا Michna والثاني الجيمارة ، أما المشنى فقد ألفها Juda le Saint يهودا القديس آخر القرن الحادي عشر الميلادي من ستة أقسام و 61 جزءا و 523 فصلا وهي عبارة عن نصوص شرعية وتعاليق على نصوص التوراة منذ البداية الى عام 218م (أي 3978 من التاريخ العبري) (20) ولكنها غمضت مع توالي العصور مما حدا الحبر اشي Rab Achi الى تفسيرها بعد ذلك بثلاثة قرون وسماها Guemara أي التقاليد ، وقد كانت شفاهية يتوارثها الآباء عن الاجداد ، وقد نزل على موسى Décalogue او الوصايا العشر (وهي مدرجة في جزء الهجرة من مصر في التوراة وهذه الوصايا أساس الديانة الموسوية وقد

---

18) راجع قصص القرآن ـ لجماعة من العلماء منهم أجاد المولى بك وتقول المصادر المسيحية بأن أنبياء بني اسرائيل بعد سليمان اثنا عشر منهم يونس الذي ظهر في نينوى عاصمة اشور في القرن الثامن قبل الميلاد (القصص ص 226) ومعلوم ان ملك اشور وهو اشور بانيبال بسط نفوذه الى مصر في القرن السابع قبل الميلاد حتى انهارت اشور بين 602 و 609 قبل الميلاد تحت ضربات الماذيين والبابليين وقد آمن أهل نينوى بيونس بعد امتحان يسير ولا شك أن تعاليمه أثرت في الفكر الصوفي الايراني والبابلي قبل ظهور زردشت ويلاحظ أن أهم أنبياء بني اسرائيل الذين نقلوا تعاليم موسى الى الآفاق النائية بين ايران وفلسطين عاشوا حوالي القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد أمثال حزقيال بن بوزي معاصر نبوختنصر وباروك وارميا واشعيا وغيرهم ممن لا يندرج فيهم مثل ايلياس (875ـ853 ق. م.).

19) بعضه بالارامية وهي لغة تكلم بها اليهود بعد عودتهم من بابل على اثر اسرهم من طرف نبوختنصر عام 586 قبل الميلاد .

20) التاريخ الميلادي يبدأ عام 754 من تاريخ روما وان كان المسيح ولد عام 749 وتاريخ يوليان سنته 365ر25 في حين أن السنة الحقيقية هي 365ر2419879 فلذلك يستعاض هنا عن تاخر تاريخ يوليوس قيصر (101ـ44 قبل الميلاد) بالغاء ثلاثة اعوام كبيسة في كل اربعة وروسيا تطبق هذه السنة المسماة سنة كريكوار البابا الذي أمر عام 1582 بتدارك عشرة الايام الزائدة بين التاريخين باعتبار يوم 5 اكتوبر 1582 بمثابة 15 منه وما زال الغلط يصل الى يوم كل اربعة آلاف سنة ويزيد تاريخ كريكوار الآن على التاريخ الرومانى بثلاثة عشر يوما .

اضيفت اليها ثلاثة عشر بندا من طرف موسى ابن ميمون (1135 – 1204م) وصادقت عليها معظم البيع وهي المعروفة بـ : Credo de Maïmonide وهي تؤكد مبدأ الايقان بوحدة الله وازليته وانه ليس بجسم وانه الاول والآخر وانه المعبود بحق وحده والايمان بما جاء به الرسل وان تنبؤات موسى حق وانه خير الانبياء وان الشرع هو شرع موسى وانها لن تغير وانه لن ينزل قانون آخر من الله وان الله يعلم ما ظهر وما بطن وانه يجازى المومنين ويعاقب المخالفين لشريعته وان المسيح سيظهر وان البعث حق الخ ..

وفى النصف الثانى للقرن الثامن الميلادى سطا الربانيون ولم يرض كل اليهود بسيطرتهم فتألف حزب اكد أن التلمود ليس من عند الله بل من عند الربانيين وانه ليس بتوراة وهذا الحزب هو حزب الكرايم Karaïm الذين تمسكوا بظاهر الكتاب وهم اشبه بالظاهرية وانتشر هذا المذهب في فارس وما زال اتباعه الى الآن فى روسيا ومصر .

والقبالية Kabbale علم سرى يبحث فى التوراة Pentateuque عن المعنى الباطن لكلام الله وهي تعاليق صوفية باطنية تناقلها اليهود وكان الاحبار يدرسونها شفاهيا فى القرن الثالث الميلادى بالكشف عن المفتاح الذى يحل مغالقها وهي تقول بان النفس الخالدة يجب أن تتروحن لاسترجاع قواها الاصلية وتوراة القبالة هو زوهار Zohar أي هو التفسير الباطنى للتوراة وقد نسب الى الحبر Rabbi Siméon ben Yohaï وطبع بايطاليا عام 1559 وهو يؤكد ان النفوس خلصت منذ بدء الخلق وان المسيح سيظهر عندما تصفو كل هذه النفوس وفيه وصف للسماوات والجحيم والفلك والتنجيم وعلم فراسة الدماغ phrénologie (دراسة تقسيمات الدماغ حسب قوى النفس) وعرافة الكف chiromancie

وحاول اسحاق لوريا القبالى (المولود عام 1534م) تبسيط الشريعة الموسوية فاثار اضطرابا فى الشرق وخاصة ببولونيا ودعا الى مذهب التناسخ (دخول الارواح الطاهرة فى الاجسام غير الطاهرة والوصول الى الله بالصوم والورع والحزن) وأكد ان خير ما فى الدنيا سعادة قلب طافح بالحب الالهى والخشية ومحبة الناس وزعم أن الصالح يمكنه التأثير على الارادة الالهية كما زعمت ذلك طائفة تسمى Hassidisme أو Piétisme (21) ظهرت فى القرن الثامن عشر الميلادى وقالت ان فى وسع العبادة فى شكل مخصوص أن تؤدى الى الفيض والاشراق بعد اختطاف الحس extase وهي أن يفتح للعابد مجال الاتصال المباشر بالحق فالرجل الصالح هو الصديق Çaddik يمكنه التأثير على ارادة الله وتغيير مجرى الاحداث الطبيعية بالكرامات وهؤلاء هم خصوم الربانيين التلموديين وقد انتشر هذا المذهب فى شرق أوربا .

وانبثاق هذه النظريات الجديدة فى الفكر اليهودى ربما كان وليد الآراء المستحدثة فيما وراء المادة على اثر انصهار الفلسفة الالهية والتصوف فى العصور الوسطى التى امتدت من عام 375م الى سنة 1453م وهو تاريخ انقضاء الحكم البيزنطى بسقوط الاستانة فى حكم العثمانيين وبذلك اصبحت الاسرائيليات نفسها مشكوكا فى اصالتها حيث تسربت اليها قصص العامة وقد أبرز ابن قتيبة في كتابه المعارف اختلاف رواية وهب بن منبه عن نص التوراة ، الا أن التعاليم اليهودية كان لها – منذ صدر الاسلام – أثر قوي فى نظريات بعض الفرق والطوائف الدينية فقد لاحظ ابن الاثير أن أحمد بن أبى دؤاد الداعى الى القول بخلق القرآن قد أخذ ذلك عن بشر المريسى ، وأصله يهودى عن الجهم بن صفوان عن الجعد ابن درهم عن ابان بن سمعان عن طالوت عن لبيد بن الاعصم ساحر الرسول عليه السلام والقائل بخلق التوراة ويهود هذه الامة هم الرافضة يبغضون الاسلام كما يبغض اليهود النصرانية . وقد حرفهم علي واقتبسوا من اليهود قولهم بأن الملك فى آل داود (مثل قول الشيعة فى أبناء علي) وتأخير الجهاد الى خروج المسيح المنتظر وتأخير صلاة المغرب الى اشتباك النجوم وابطال عدة النساء وعدم القول بانطلاق الثلاث واستحلال دم المسلم وتحريف القرآن وانتقاص جبريل (زعم الرافضة غلط جبريل فى الوحي بالقرآن لغير علي) وعدم اكل لحم الجزور (العقد الفريد ج 1 ص 269) وقد قال اليهود بأن نسخ التوراة

---

21) Piétisme مذهب بروتستانتى ظهر فى القرن السابع عشر وما زال منتشرا بالمانيا الى الآن يدعو الى الزهد والى عدم احتكار الرهبان لشؤون الدين التى هى من حق الجميع .

بداء وتبعهم بعض الشيعة فى نسخ القرآن وكذلك فى الرجمة (عودة الياس من السماء) .

اما النصرانية فقد كان لدى المسيحيين (22) فى القرن الاول والثاني الميلاديين اناجيل كثيرة غير الاناجيل الاربعة المعتمدة وهي اناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا ثم ارادت الكنيسة فى اوائل القرن الثانى او اوائل القرن الثالث الميلادى استبعاد الاناجيل غير المعتمدة فحكمت ببطلانها .

فمن ذلك ان انجيل متى غير المعتمد يؤكد ان مريم لم تكن زوجة ولا مخطوبة وانما كانت من العذارى اللائى نذرن انفسهن لخدمة المعبد .

واما انجيل الابيونيين (وهو انجيل مدون بالارامية لزعيم اسمه ابيون ظل له اتباع الى اواخر القرن الرابع الميلادى) فانه يقر شرائع موسى ويعتبر عيسى هو المسيح المنتظر وينكر الوهيته ويعتبره مجرد بشر رسول مخالفا بذلك ما تؤكده جميع الاناجيل المعتمدة من الوهية المسيح وبنوته وكونه احد الاقانيم الثلاثة المكونة للاله .

واما انجيل برنابا (القديس الذى هو على الارجح أحد التلاميذ السبعين الذين اختارهم المسيح بجانب الحواريين الاثنى عشر للتبشير بالمسيحية) فقد ورد ذكره منطوقا في القرار الذي اصدره البابا جلاسيوس الاول (492 ــ 496م) وعدد فيه الكتب المنهى عن قراءتها فذكره من بينها وقد عثر احد مستشارى ملك بروسيا عام 1709 على نسخة من هذا الانجيل مكتوبة بالايطالية وعلى هامشها تعليقات بالعربية وانتقلت هذه النسخة الى مكتبة البلاط الملكى بفيينا ويقر هذا الانجيل الذى نشره الشيخ رشيد رضى ان المسيح ليس الا بشرا رسولا وانه لم يصلب ولكن شبه لهم وان الله القى شبه المسيح على يهودا الاسخريوطى (وهو الحوارى الذى خان المسيح فتآمر مع اليهود والرومان للقبض عليه) ويقرر أن المسيح المنتظر الوارد في العهد القديم هو سيدنا محمد عليه السلام ويقرر ان الذبيح هو اسماعيل لا اسحق خلافا لنظرية جمهور اهل السنة (راجع المواهب اللدنية للقسطلاني ج ا ص 117) .

الا أن فقهاء المسيحيين يقدمون شواهد تقول بأن هذا الانجيل موضوع بقلم بعض المسلمين وخاصة ما ورد من أن آدم عليه السلام راى سطورا كتبت من نور فيها لا اله الا الله محمد رسول الله .

وقد تسربت النصرانية الى الجزيرة على يد النساطرة في الحيرة واليعاقبة في غسان والشام مع صوامع فى وادى القرى واهم مركز للنصارى هو نجران يتولى شؤونهم العاقب (متولى الشؤون الداخلية الدنيوية) والرئيس (رئيس الحرب والخارجية) والاسقف وكان بنجران كعبة بنيت على نسق مكة ومن رؤسائها او اساقفتها قس ابن ساعدة الايادى وقد استنجد النصارى بالحبشة بعد استبداد ذى نواس فغزت بلاد العرب عام 522م ثم 525م وهزمت ذانواس وحكمت تهامة وقد اجلى عمر اهل نجران الى العراق وكان القسس يردون اسواق العرب للتبشير مثل الشعراء قس وامية بن ابى الصلت وعدي بن زيد فادخلوا على العربية الفاظا جديدة (كباسمك اللهم واما بعد) .

وانقسمت مناطق نفوذ النصرانية عند الفتح فبرز اليعاقبة فى مصر والنوبة والحبشة والنساطرة (23)

---

22) راجع بحثا عنوانه «الاناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين واتفاق بعضها مع ما جاء به القرآن» للدكتور على عبد الواحد وافى مجلة (منبر الاسلام) لسان المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية عدد 11 عام 1964 ص 4)

ومعلوم أن اول الاناجيل انجيل متى اما انجيل مرقس فقد حرر بالاغريقية حوالى 65 م وانجيل لوقا حوالى 53 او 56 (ولوقا هو صاحب كتاب اعمال الحواريين المصنف عام 59 والملحق بالعهد Actes des apôtres الجديد) ويمتاز انجيل يوحنا بطابع صوفى باطنى ولعل المذاهب التى انشقت عن دراسة انجيل برنابا هى الاريانيسم Arianisme الذى ينكر صاحبه اريوس Arius (256ـ336 م) وهو قس ولد فى الاسكندرية ــ وحدة جوهر الثالوث المقدس فى المسيحية اى الوهية المسيح كما تولد عن هذا المذهب مذهب آخر هو المذهب المقدونى ومؤسسه هو مقدونيس Macedonius بطرك الاستانة (المتوفى عام 370 م.) القائل بان روح القدس مجرد مخلوق لا اله خلافا لما قرره المجمع الكنسى .

23) اتباع نسطور Nestor بطريق القسطنطينية. ــ الذى ولد فى سوريا (380ـ440 م) ومات فى صحراء ليبيا واشتهر بحكمة نصائحه وقد زعم الشهرستاني انه ظهر في عصر المامون (فجر الاسلام) .

(الموصل والعراق وفارس) والملكانية في المغرب وصقلية والاندلس والشام ، ومعلوم ان اليعاقبة يعتقدون ان المسيح هو الله اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح بينما دعت الفرقتان الاخريان الى فكرة ازدواجية الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية في المسيح ، وقد اختلفت هذه الطوائف أيضا في قضايا شتى فتساءلت هل سينزل المسيح قبل قيام الساعة ؟ وهل ستحشر الارواح أم الابدان أم هما معا ؟ وهل صفات الله زائدة عن ذاته أم هما شيء واحد ؟ وقد قال بعض النساطرة بالقدر خيره وشره وكل ذلك اثار جدلا بين علماء الاسلام (24) .

وقد امتازت المملكة الاسلامية في القرون الوسطى عن اوربا النصرانية بتوافر معتنقي الاديان غير الاسلام فيها واستقلال الكنائس والبيع عن الحكومة الاسلامية (25) وانفراد هذه بالتسامح بينما كانت بيزانس تعاقب من اسلم بالقتل ، وكذلك التزوج بالكتابيات وقد قرر الحنفية قتل المسلم بالذمي استنادا الى رأي الصحابة وفيهم عثمان وعلي في اقادة عبيد الله بن عمر قاتل جفينة النصراني وبنت ابي لؤلؤة والهرمزان واشترط الشافعي لاسلام وقد استعان الرسول عليه السلام في خيبر بيهود قينقاع وفي حنين بصفوان بن امية ضد المشركين (الام للشافعي ج 4 ص 177) وقد بلغ عدد اليهود عام 560م حسب الرحالة بنيامين نحو 300 الف (معجم البلدان مادة يهودية) وقد قال قوم بان التوراة بدلت وغيرت (ابن حزم) وذهب بعض ائمة الحديث الى ان التبديل وقع في التاويل لا في التنزيل (البخاري والرازي مستندين الى الآية : (يحرفون الكلم عن مواضعه) والآية: (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها الخ ..) نظرا لعدم امكان التواطؤ على التغيير وذهبت طائفة الى انه زيد فيها وغيرت الفاظ يسيرة (ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لزيادة اسحاق في آية الذبح بالتوراة .

وفي خصوص الانجيل ذهب ابن حزم وابن تيمية الى عدم الاعتراف بالانجيل الذي بين أيدينا وذكر كولد زيهر ان الحديث « ادوا اليهم حقهم وسلوا الله حقكم » أخذ مما ورد في انجيل متى : « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وكما وافق الاسلام النصرانية في الامعان في تفضيل الفقراء على الاغنياء واخذ جهم بن صفوان برأي آباء الكنيسة اليونانية بانكار ابدية عذاب النار فقال بان الجنة والنار تفنيان ويفنى اهلهما (الفصل في الملل والنحل لابن حزم وضحى الاسلام لأحمد امين) .

وذكر فون كريمر بان المعتزلة نشات من النصرانية نظرا لنصرانية مسائل كالقدر والجدل في صفات الله والواقع أن القرآن والحديث وتأويلهما مما مصدر الاختلاف .

وفي العصر العباسي استمر الجدل مع النصارى كرسالة الجاحظ « في الرد على النصارى » وما يثيرونه من شبهات ومن شعراء النصرانية في العربية الاخطل في العهد الاموي وأبو قابوس في العصر العباسي .

وكانت الاديار منبعا للزهد يأوي اليها بعض زهاد المسلمين كما كانت محط الخلعين من الشعراء . ونشات حولها الحانات ويروي ابن تيمية أن اتخاذ المسلمين القبور مساجد كان تقليدا لليهود والنصارى .

وقد أثر الاسلام في النصرانية فظهر في القرن الثامن الميلادي (الثاني والثالث الهجريين) جنوب غربي فرنسا انكار الاعتراف أمام القسس والدعوة الى التوجه لله (خدا بخش) وحركة تدعو الى تحطيم الصور والتماثيل (امر الامبراطور الروماني ليو الثالث عام 726م بتحريم تقديس التماثيل واكده قسطنطن الخامس وليو الرابع ويقولون ان كلوديوس Claudius اسقف تورين (828م ـ 213هـ) الداعي الى احراق الصلبان ولد وربي بالاندلس المسلمة وظهرت طائفة نصرانية قربت عقيدة الثالوث من الوحدانية وانكرت الوهية المسيح .

وقد حملت النصرانية شيئا من الثقافة اليونانية لان كثيرا من آباء الكنيسة كانوا فلاسفة قبل أن يكونوا رجال دين نظرا لاضطرارهم الى مقارعة آراء الوثنيين بالمنطق فتسربت الى النصرانية فلسفة أرسطو وافلاطون وقد أنشئت مدارس لاهوتية مثل مدرسة الاسكندرية

---

24) حتى قبل الاسلام شاهدنا امثال النضر بن الحارث بن كلدة ابن خالة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحل كابيه الى الخارج ويعاشر الاحبار ويتعرف الى الفلسفة والحكمة (طبقاء الاطباء لابن ابي أصيبعة)

25) كتاب متز « نهضة الاسلام» ـ ترجمة خدابخش من الالمانية الى الانجليزية (ضحى الاسلام ج 1 ص 340) .

(فى بدء القرن الثالث) ومدرسة انطاكية التى انشاها مليكيون عام 370م ومدرسة نصيبين عام 297م (وكانت تعلم انسريانية وانيونانية) .

ومهر النساطرة فى علوم اليونان فترجموا الى نسريانية اللاهوت والفلسفة الى جانب الطب والعلوم الطبيعية وصاروا أطباء فى فارس والحيرة ومن ثم كانت البصرة والكوفة مركزين للعلم فى الاسلام .

الفلسفة اليونانية : وكان لمذهب الافلاطونية الحديثة الذى تسربت آراؤه الى مدرسة الاسكندرية أثر قوي فى تكييف الفلسفة الاسلامية ونظريات المسلمين فى علم الكلام والتصوف وقد بدأ ذلك فى القرن الثالث الميلادى على يد مؤسس مدرسة الافلاطونية الحديثة الفيلسوف أمونيوس سكاس Ammonius Saccas شيخ أفلوطين وأوريجين Origène ولونجان Longin وبعد ان انتقل من النصرانية الى الدين اليونانى القديم صار يوفق بين أفلاطون وأرسطو ومات عام 242م وولد أفلوطين سنة 205م في أسيوط Licopolis ورحل الى فارس فى اعقاب جيش كورديان Gordien مشاركا فى معركة سابور بعد أن اتصل زهاء العشر سنوات بامونيوس وعمره 28 سنة فتعرف الى علوم الفرس والهند ثم توجه الى رومة (245م) حيث أسس بها مدرسة (26) للفلسفة ومات عام 270م وقد ألف التاسوعات Ennéades حيث حاول مزج معطيات الفلسفة القديمة بما اقتبسه من المسيحية وذلك باضافة فكرة الوجود الالهي الى نظرية الرواقيين الدهرية متاثرا من بعض النواحى بنظرية الثالوث المسيحى وهو يقول بأن العالم متغير له مظاهر شتى لم يوجد بنفسه وانما له خالق واحد غير متعدد لا تدركه العقول والابصار أزلى أبدى واجب الوجود لا يحده مكان ولا يحل فى احد من خلقه ليس ذاتا ولا صفة ، ومبادىء اخرى كانت محور الجدل بين علماء الكلام والصوفية بعدما اثارت مناظرات طويلة منذ العصور الاولى فى فروع المدرسة الافلوطينية بالشام وأثينة ثم انحدر هذا المذهب متاثرا بالنزاعات الوثنية اليونانية وخوارق المغيبات والسحر والطلاسم وسر الاسماء .

ومعلوم ان الافلاطونية الحديثة استمدت من أفلاطون وأرسطو والرواقيين معا وعرفت بروحانيتها وقد استغرق أفلوطين فى فكرة الوحدانية أو الفناء فى الالوهية مرارا فى حياته وأدرك هذه الظاهرة فورفوريوس مرة واحدة وقد ساد هذا المذهب في المملكة الرومانية نحو قرنين ونصف قرن حتى أمر جستنيان عام 529م باغلاق مدارس أثينة واستمر نشاط مدرسة الاسكندرية من 300 ق.م الى 642 ب.م رغم غزو الرومان لمصر عام 30م وقد اتصلت اليهودية بالفلسفة فى هذه المدرسة على يد فيلون والنصرانية عن طريق كليمان Clément (ولد عام 150 وعائلته وثنية فى أثينا) فمزج النصرانية بالافلاطونية ثم عن طريق أوريجين (185 – 254م) تلميذ أفلوطين واضطهد ففر الى قيصرية بفلسطين حيث أنشأ مدرسة كما انشئت مدرسة نصيبين ونقلت الى الرها فاتسمت بالطابع الاسكندرى وقد توقف الفلاسفة فى بنوة عيسى لله لان الله فى نظرهم هو العلة الاولى لا يلحقه تغير فكيف يكون ابا .

وقد نشط فى هذا المجال النساطرة فى آسيا عن طريق السريانية واليعاقبة فى مصر وكانت لغتهم السريانية والقبطية وقد غلب على اليعاقبة مذهب الافلاطونية الحديثة والتصوف والرهبنة بينما مال النساطرة الى التفكير الفلسفى دون ايغال فى الروحانية رغم انتشار اديارهم .

ومن تلامذة المدرسة الاسكندرانية فى القصر العباسي بليطيان بطريق الاسكندرية فى عهد المنصور وان كان علماء هذه المدرسة لم يتصلوا بالعباسيين لبعد ديارهم وانغماسهم فى الطلاسم والعزائم والسحر والرهبنة والمكاشفة وتمسك مدارس العراق بعلوم الدنيا .

وقد لعب السريانيون دورا هاما فى نشر الفلسفة اليونانية فى العراق ، وفارس وخاصة فى الرها Edessa ونصيبين وجنديسابور ومدينة حران التى بقيت الى عهد المأمون تلقن المعارف الافلاطونية تحت شعار الصابئة وقد اعتمد العرب على كثير مما ترجم من اليونانية الى السريانية (27) وخاصة ما فقد أصله وقد

---

26) تعرف هذه المدرسة عند العرب بمدرسة الاسكندرانيين ويعرف افلوطين عند الشهرستانى بالشيخ اليونانى .

27) ترجموا كذلك من الفهلوية تاريخ الاسكندر المنقول عن اليونانية وكليلة ودمنة والسندباد ..

ظل السريانيون أمناء فى الترجمة عدا الالهيات التى طبعوها بميسم المسيحية فجعلوا مثلا من أفلوطين راهبا شرقيا (احمد امين) ومن أشهر السريانيين ابن ديصان Barbaison المتوفى عام 222م الذى مزج مثلا ما فى الثنوية بالنصرانية وأنكر بعث الاجسام وقلده الرافضة فى بعض أقواله كأبى شاكر الديصانى وفى العصر الاموى ترجم يعقوب الرهاوى (640 ـ 708م) بعض الكتب الالهية اليونانية ثم عربت كتب فى الفلسفة والعلوم فى العصر العباسى بواسطة سريانيين أمثال حنين بن اسحاق وابنه اسحق وابن أخته جيش فوجد الصوفية وعلماء الكلام مادة وافرة لتطعيم نظرياتهم بهذه الآراء الدخيلة على الفكر الاسلامى وان كانت معظمها متأثرا بالفكر المسيحى الذى احتفظ فى خصوص الفلسفة الالهية بشيء غير قليل من مبادىء الانجيل الرامز الى الكتب المنزلة فى وحدة التشريع العقائدى (شرع لكم من الدين الآية) .

ولا يمكن الفصل بين أصول نظريات الصوفية ونظريات المتكلمين فى كثير من القضايا ، فالقدرية (28) قد عرضت لمسألة الجبر والاختيار التى كانت موضوع نقاش طويل فى مختلف المدارس الفلسفية التى تساءلت عن مدى حرية الارادة الانسانية ومدى مسئولية الانسان تبعا لذلك وقد سبق للزردشتيين أن جعلوا من هذه القضية محور عقيدتهم كما اهتم بها النصارى فهل انبعثت هذه الحركة من العراق حول الحسن البصرى أم من الشام حول الحاشية النصرانية فى بلاط الامويين من أمثال يحيى الدمشقى ؟ ومهما يكن المنبع الاصلى فان الخائضين في الاعتزال حسب ابن تيمية انتشروا في البصرة والشام وكانوا قليلين فى المدينة .

ومن الجبرية جهم بن صفوان الخراسانى (قتل عام 128هـ) أمام الجهمية القائلين بالجبر وعدم القدرة والاختيار عند الانسان ونفى الصفات والاعتزال (الذى ترجع تسميته اما الى اعتزال مولين هما واصل ابن عطاء وصديقه بن عبيد مجلس الحسن البصرى واما الى اعتزال صاحب الكبيرة عن الكفار والمومنين معا فى منزلة بين المنزلتين) قد ظهر في الحقيقة قبل ظهور مدرسة الحسن البصرى بمائة عام (29) فاطلق على من لم يخض فى وقعة صفين .

وتتلخص تعاليم المعتزلة فى القول بالمنزلة بين المنزلتين والقدر أي خلق الانسان افعاله ونفى الصفات الزائدة عن الذات وتحكيم العقل فى التحسين والتقبيح والوعد والوعيد غير أنهم يرون أيضا أن العلم ظاهر وباطن وان عليا اخذ بكلتيهما وراثة نبوية وقد استعان بالفلسفة اليونانية من رجال الاعتزال أبو الهذيل العلاف والنظام والجاحظ فوضعوا علم الكلام وتسلحوا بالمنطق اليوناني لدحض آراء الدهرية والوثنيين وكان لانظارهم بعض الاثر فى تكييف الفكر الصوفى بعد القرون الثلاثة الاولى التى اتسم التصوف الاسلامى غب انصرامها بطابع غير اصيل .

فالاسماعيلية (30) مثلا (التى تصل بالامامة الى اسماعيل بن جعفر الصادق) قد اقتبست من الافلاطونية الحديثة تأثرت بنظرية اخوان الصفا الفلسفية كما حكمت المنطق التزمت في فهم أسرار بعض الشعائر كالرمي والسعي فأثارت الريب فى النفوس وحادت عن اطار الاسلام فاعتبرت الوحي رمزا الى صفاء النفس وحصرت أركان الدين فى العامة محالة الخاصة من قيودها وجعلت الانبياء من حظ الاولين والفلاسفة من رواد الطبقة الراقية واوغلت فى تاويل النصوص على طريق المجاز فوسمت بالباطنية وفتحت فى مسالك التصوف منافذ خفية اندرجت منها بعض آراء اليهودية والنصرانية والهندية والزرادشتية والمزدكية فشاعت نظرية اتحاد اللاهوت بالناسوت فى ذات الامام وفكرة تناسخ الارواح والاتحاد والحلول .

أما غلاة الشيعة فقد الهوا عليا فقال بعضهم « حل فى علي جزء الهي واتحد بجسده فيه وبه كان يعلم الغيب . وأول من دعا الى تاليه علي عبد الله بن سبأ اليهودى

---

28) القائلون بان للانسان قدرة على أعماله اى كامل الحرية غير مجبور ومن قادتهم معبد الجهنى الذى قال عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال بانه تابعى صدوق لكنه سن سنة سيئة فكان أول من تكلم في القدر وقتله الحجاج ـ ومنهم أيضا غيلان الدمشقى وقد سمى المعتزلة بالقدرية وسموا كذلك بالجهمية لاتحادهم فى نفى الصفات وخلق القرآن .

29) فجر الاسلام ص 290 .

30) للفكرة الصوفية علاقة وثيقة بالتشيع .

التصـوف فى الهنـد والصيـن

وأشهر تعاليمه الوصاية (أى وصية الرسول صلى الله عليه وسلم الصريحة بخلافته من بعده) والرجعة وقد دعا ابن السوداء الى القول برجعة الرسول عليه السلام ثـم تحول الى الدعوة لرجوع علي ويروى عنه قوله ـ حسب ابن حزم ـ بعد وفاة علي : « لو اتيتمونا بدماغه ألف مرة ما صدقنا موته ولا يموت حتى يملأ الارض عدلا كمـا ملئت جورا » واصل الفكرة اسرائيلى لان اليهود يعتقدون أن الياس صعد الى السماء وسيرجع الى الارض لاقرار الدين والتشريع من جديد وقد تأثرت النصرانية بذلك فى القرون الاولى فادعت عودة المسيح وانبثقت عن هاته النظرية عقيدة اختفاء الايمة عند الشيعة وقد لعب غلاة العراق دورا هاما فى بلورة هذه المزاعم .

واذا كان هناك شيعة معتدلـون كالزيديـة (31) المنتشرون فى اليمن فالامامية القائلة بالامـام المنتظـر تفترق الى طوائف تدين بعقائد شاذة ومنهم الاثنا عشرية السائدة فى ايران .

انصهرت فى المملكة الاسلامية عناصر شتى فيها السندى الذى له طبيعـة فى الصرف والعقاقيـر (32) والصينى الذى امتاز بالصناعة والتصاوير والزنوج وهم أحسن أهل الارض حلوقا (33) والهنود الذين اشتهروا بالحساب والنجـوم والطب والصناعـة ، والفـرس ذوو السياسة والدواوين ، والاتراك المشبعون بروح الحرب والنضال ، علاوة على أشتات ممن تلقوا ثقافة يونانية من السريان الذين مهروا فى التعليلات المنطقية وتعزز هذا الانصهار بالتوالى بين الاجناس فى البوطقة العربية فتفاعلت الامزجة والطبائع بالاضافة الى تأثيـر الموالى الرقيق .

وقد أمر عثمان بن عفان عامله فى العراق عبد الله ابن عامر بن كريز ان يوجه شخصا له علم بثغر الهند فبعث حكيما بن جبلة العبدى فلما ذكر لعثمان عنها لم يغزها أحدا وقد وجه الحجاج محمد بن القاسم الثقفى الى الهند ففتح السند عام 91هـ وما سمى اليوم بحيدر أباد وكان ابن القاسم شابا لم يتجاوز العشرين عاما وقد انتشر السبي السندى فى المملكة الاسلامية وولى أبـو جعفر المنصور هشام بن عمرو التغلبى عليها عام 147 ففتح كابل وكشمير وشارك فى الفتوح علمـاء امثال الربيع ابن صبيح البصري أول مدوني الحديث صاحب الجيش الذى سيره المهدى عام 159 لغزو الهند فمات بها وقد ترجم الذهبى فى تذكرته لبعض المحدثين فى السند (ج 2 ص 65 ـ 257) ومن الشعراء السنديين أبو عطاء السندى ومن اللغويين ابن الاعرابى (أبو زياد عبد سندى) أستاذ ثعلب وابن السكيت ومن المحدثين الهنديين ابو معشر نجيح صاحب المغازى سمع نافعا ونفرا من التابعين .

وقد أثر الهنود فى الثقافة الاسلامية على اثر اتصال المسلمين بهم بواسطة التجارة ثم عـن طريـق الثقافـة الفارسية التى نقلت الى العربية وفى ضمنها جزء مـن الثقافة الهندية وقد اعتبر المسلمون الهنود احدى الأمم الأربع الممتازة وهم الفرس والهند والروم والصين وأهم تأثير الهند فى الالهيات وقد امتازت الفلسفـة الهنديـة بامتزاجها بالدين واصطباغها بالشعر والخيال فى حين اتسمت الفلسفة اليونانية بالمنهج العلمى المرتكـز على الحقائق لا المجاز وقد هدفت الاولى الى خدمة الانسان بينما كانت غاية الثانية المعرفة للمعرفة (34) .

وقد وصف البيرونى عقائد الهند فى القرن الرابع لضلاعته بالسنسكريتية في « تحقيق ما للهند من مقولـة مقبولة فى العقل أو مرذولة » (طبع فى ليبسك) فأبرز توافق عقيدة الخاصة مع العقيدة الاسلاميـة فقـال : « واعتقاد الهند فى الله سبحانه وتعالى أنه الواحد الأزلى من غير ابتداء ولا انتهاء المختار فى فعله القادر الحكيم الحي المحيى المدبر المبقى الفرد فى ملكوته عن الاضداد

---

31) أتباع زيد بن على بن الحسين تلميذ واصل بـن عطاء امام المعتزلة ، وهم يرون جواز امامة المفضول مع وجود الافضل ولا يقولون بالجز. الالهى فى على وقـد خرج زيد على هشام بن عبد الملك فصلبه عام 121 هـ. وكذلك ولده يحيى عام 125 هـ.

32) الحيوان للجاحظ ج 3 ص 134 .

33) رسائل الجاحظ ص 63

34) راجع فجر الاسلام لاحمد امين

والانداد لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء » (تحقيق ما للهند ص 13) وقد قارن بين هذه العقائد والنزعات لصوفية والافلاطونية الحديثة والمسيحية .

ومن الآراء الهندية التى أثرت فى الاسلام نظرية تناسخ الأرواح القائلة بأن الروح لا تفنى بل تنتقل من بدن الى بدن وقد ربطوا الثواب والعقاب والجنة والنار بنظرية التناسخ فالأرواح الشريرة تتردد في النبات والهوام وقد قال فيتا غورس بالتناسخ واخذها عنه افلاطون ودحض رأيهما أرسطو وأكد البيرونى أن مانى نفي من فارس فهاجر الى الهند واستمد منه التناسخ وممن أخذ فى الاسلام بهذا المذهب احمد بن حائط (معتزلى تبرأ المعتزلة منه) وابو مسلم الخراسانى والقرامطة ومحمد بن زكرياء الرازى وقبلهم السبئية الذين قالوا بتناسخ الجزء الالهى فى الأيمة بعد علي وهذه النظرية تؤدى الى مذهب الحلول باتحاد العقل والعاقل والمعقول ، ومن الفرق القائلة فى الهند بالتناسخ مذهب السمنية (نسبة الى الصنم سومنات الذي أحرقه السلطان محمود بن سبكتكين عام 416 حسبما عند الجزرى فى تاريخه) اعداء البراهمة والذين نشروا دينهم في خراسان وفارس والعراق والموصل الى ظهور زرادشت (ما للهند من مقولة ص 10) وقد ناقش علماء الاسلام مؤلاء السمنيين فى نظرية المعرفة لقولهم بأن المعرفة لا تحصل الا من باب الحواس وقد سبقوا فى ذلك لوك John Locke (1632-1704) صاحب كتاب محاولة لدراسة الفكر الانسانى
L'essai sur l'entendement humain
والقائل بأن مصدر العلم التجربة أي الحس المقرون بالتفكير وهم يعارضون فى ذلك نظرية العقليين les rationnalistes (مثل كانت) Kant

وقد اخذ المسلمون عن الهنود حكمهم الشبيهة بالأمثال العربية ومن عادات الهنود تحريم قتل الحيوان وقد يكون ذلك هو الذى اثر فى ابى العلاء فحرم على نفسه اللحم .

نماذج من التصوف الهندي واليابانى (Zen, Yoga)

اليوكا معناه الاتحاد أي اندماج الفرد فى انيته الحق مما يؤدى الى انصهار الضمير الفردى فى الضمير العالمى وبذلك تذوب الانية الخاصة فى الكائن العام

ومنالك نوع من الاتحاد يعرف بـ : Halta Yoga أي الاتحاد الجبرى وهو يرتكز على مناهج نفسانية ويرجع تاريخه الى الف عام ولا يزال فى شكله الاصيل وتقوم الآن معاهد رسمية Gourous فى الهند بتدريب المريدين على أساليب يوكا .

الدرجات الثمانية فى يوكا :

أولا وثانيا : الامساك ورعاية القوانين (مثل عدم العنف والعفاف والخلوة وتقنين الأكل)

ثالثا : الأوضاع والجلسات (تقارن مع الأوضاع فى الصلوات فى الاسلام)

رابعا : التنفس المراقب Respiration contrôlée

خامسا وسادسا : حبس الحواس inhibition وجمع الهمة concentration

سابعا : التفكير

ثامنا : الصمدى أو اندماج الروح فى النفس الحيوى الفردى Atma فهنالك أربعة وثمانون وضعا أي جلسة يتخذها الجسم كما هنالك عمليات تصفية من بينها تخلية الجهاز الهضمى ويبتدىء بتصفية المعدة بادخال ساق قصبة في البلعوم œsophage أي المريىء وهو أنبوب المعدة ، ثم نزعه منها او بابتلاع أكثر ما يمكن من الماء الدافىء ثم قيئه باستفراغ المعدة واخيرا بابتلاع قطعة من النسيج عرضها عشرة سنتمترات وطولها سبعة امتار ثم انتزاعها .

وهناك عملية تسمى dhouti تطهر الجسم من الأدناس وهي تتلخص فى تقليص سعة الفم وانتشاق الهواء بامتلاء تدريجى للمعدة ثم تحريك الهواء داخلها ولفظه من اسفل ومن خواص هذه الطريقة انها تستأصل الأمراض ـ فى زعمهم ـ وتنمى حرارة المعدة وتوجد طريقة ثانية فى عملية دوتى تستهدف ملء الفم بالماء الى الجلقوم ثم ابتلاعه ببطء وتحريكه داخل المعدة والضغط عليه الخروج من المعي المستقيم rectum وينتج عن ذلك استنارة ولمعان فى الجثمان .

أما التطهير بواسطة النار agnisara فقوامه الضغط على عقدة السرة أو على الأمعاء تجاه سلسلة الفقار نحوا من مائة مرة .

القدرة على رفع الجثمان بمجرد الارادة

Khecari mudra وذلك بقطع الطرف الأسفل لعضلة اللسان واجتذاب هذا الى الخارج بواسطة آلة من حديد الى أن يصل الى ما بين الحاجبين ثم ثنيه حتى يمس الحنك في أعلى باطن الفم ومنه الى سمام المنخرين (أي فتحتهما) المؤدي الى الفم واذا ما استطاع المريد اغلاق هذه الفتحات بلسانه امكنه ايقاف التنفس وبفضل هذه العملية يحصل المريد على مناعة تقيه الاغماء وتجعله في معزل عن الشعور بالجوع والعطش والكسل بل حتى عن تحمل المرض والهرم والموت في زعمهم ويصبح الجثمان موسوما بطابع لاهوتي .

وهذه الطريقة تعرف عندهم غالبا بـ Roi des Mudras ويستطيع الانسان أن يحقق بها في نظرهم هدفا آخر يستند الى الاعتقاد بان الطاقة الحيوية لدى الانسان مركزة في السائل البذري وهو المنى المحفوظ في تجويفات الجمجمة والذي يعتبر اثمن مادة في الجسم بل اكسير الحياة .

وبايقاف حركة جهاز التنفس يتقي الانسان ضياع هذا السائل الذي ينحدر عادة الى أسفل الجسم فيعاد الى الأعلى عن طريق اللسان .

القوة الثعبانية force serpentine

والغاية القصوى من عملية هاطايوكا Hata Yoga هي ايقاظ القوة الحيوية الغافية الوسنانة عند الانسان في قاعدة عموده الفقري في شكل حية مكورة ملفوفة حول نفسها تسمى بكونداليني Kundalini فاذا ما أوقظت هذه الحية فانها تجبر على الصعود في مسرب ضيق من النخاع الشوكي مارة بشتى المراحل الى ان تصل الى قمة الدماغ فتتحد رمزيا ـ في زعمهم ـ مع سيفا Siva احد اصنام الأساطير الهندية وهو زوجها وتعود الحية الأنثى بعد ذلك الى مقرها الأول واذا ما أصبح هذا الازدواج مستديما قارا فان المريد Yogui (اليوكي) يتحرر ويختطف عن حسه في ذهول نهائي extase finale

وتمر الحية بست مراحل أو مراكز Chakras توجد :

أولاها في قاعدة نخاع الظهر
وثانيتها فوق الأعضاء التناسلية
وثالثتها قرب السرة
ورابعتها على مقربة من القلب
وخامستها قرب الجيد أي مقدم العنق
وسادستها بين الحاجبين
اما السابعة فانها تقع في أعلى الدماغ ضمن طبقة خاصة .

وكل مركز يتحلى بسعف أو زهرة سدر lotus أو نيلوفر أبيض له عدة تويجيات pétales (أوراق الزهرة) وعددها ست عشرة في الأسفل والف في قمة الدماغ وكل مركز حيوانه الرمزي بحيث يستقر الصنم سيفا في اسمى المراكز بين الحاجبين ـ ويحق أن نتساءل هنا عن الغاية التي ينتجعها المريدون الهنود باعمالهم هذه والتي يمكن ان نلخصها في ثلاثة عناصر :

1) علاج خلل الروح والجسم وايجاد حالة من السعادة الكاملة ماديا ومعنويا (ويتصل هذا العنصر بالطب عند الهنود) .

2) الحصول على قوة خارقة للعادة تسمى Siddhis وهي الكرامات وذلك بواسطة مراقبة الطاقات الخفية في الجسم .

3) الوصول الى الاتحاد الصوفي Union mystique أي الانصهار في ذات الحق بالحلول أو الاتحاد معها (يقارن هذا بما عرف في التصوف الاسلامي) ويتحدث الأدب المعاصر عن ثمانية أنواع من هذه الكرامات الهندية :

1) تقليص الذات الى حجم الذرة anima
2) تضخم الذات في الفضاء machima
3) الخفة والارتفاع عن سطح الأرض laghima
4) القدرة على الوصول الى كل النقط الممكنة حتى الى القمر
5) سيطرة الارادة prakamya
6) القدرة على الخلق والابداع sithava
7) المراقبة الذاتية والمناعة ازاء التأثيرا الخارجية vashitva
8) استئصال جميع الشهوات والحاجيات الجسمانية ويضيفون الى ذلك القدرة على الاختفاء

مدى صحة هذه الخوارق :

قام الصحافي الفرنسي (Arthur Koestler برحلة الى الهند وزار معاهد المتصوفة هناك وحدثنا عما

شاهده في كتاب صدر عام 1961 بباريس بعنوان le Lotus et le Robot نلخص أهم الانتقادات الواردة فيه :

فمن ذلك ما أكده من أن معاهد يوكا للابحاث لا تشير الى أية تجربة بخصوص ارتفاع الجسم عن سطح الارض (ص 139) بل ان احدى هذه التجارب فشلت في بعض هذه المعاهد وقد ذكر أن الحشيش bhang يلعب دورا هاما في هاطايوكا (ص 142) .

أما التجربة التي تتبلور في دفن رجل حي داخل حفرة فقد قام معهد لونافلا Lonavla بتحريات في شانها فتاكد لديه ان الحفرة المستعملة التي تظهر محكمة القفل كانت تتلقى الاوكسجين الطري وقد تجلى ذلك بوضوح عن طريق المضخة التي اجتذبت الهواء (ص 142)

وفي خصوص تجربة ايقاف دقات القلب اتضح أن ذلك ممكن بالامساك عن التنفس وتلطيف النبضات وهي الطريقة العلمية المستخدمة في المصحات والمسماة فالسالفا Valsalva وفي امريكا استطاع هانسين W. Henssen وعمره أربعة واربعون عاما – التخفيف من سرعة النبض بل ايقافه تماما مدة خمس ثوان .

والمشي على النار ضرب من السحر معروف من قديم حتى خارج الهند ولم تجربه معاهد البحث الهندية أما الطفو فوق الماء فان هاطايوكا تقول بان البطن اذا امتلأ هواء بحيث يسري هذا الهواء بحرية داخل الجسم فان الجسم يطفو بسهولة كورقة السدر على سطح الماء .

والعفاف عند متصوفة الهند راجع الى اعتقادهم ان من واجب المريد اليوكي الحفاظ على سائله الحيوي الذي هو اكسير مصفى من الدم يؤدي ضياعه ولو في الانزال والانسال المشروعين الى اضعاف الجثمان والروح معا .

التصوف الياباني Zen

يستند التصوف الياباني الى مجموعة من العادات والاعراف التي تكيف النفسية وتعلل بعض النزعات الشاذة فالواجب يقضي بالانصياع المطلق الى أوامر الامبراطور بدون قيد ولا شرط ويعتبر هذا الخضوع أول مظهر للفكر الخلقي في اليابان ويسمى لوشو (Le chu) تليه طاعة الآباء (Le ko)

ففي وسع المرء أن يكذب دون أن يحيد عن جادة الاخلاص والوفاء اذا اختار للكذب منهجا يتلاءم والشكليات اليابانية (ص 270) ومن عوامل الاخلال بالصدق وخلوص النية الايغال في الصراحة فلذلك اعتبروا الغموض والتلميح الخفي فضيلة .

ومن لوازم هذا الخلق النفسي الحساسية المتزايدة ازاء المذمة والملام مما يشل كل نقد ادبي أو فني ويجعل من اليابان جنة الهواة من الشعراء .

أوجه التشابه والخلاف بين متصوفة الهند واليابان :

أ) نقط التجانس :

1) ارتكاز الوضع الاجتماعي على الأسرة والجماعة (سلطة الأب ونفوذ الشيخ)

2) روح المحافظة والتشبث بالتقاليد عند الفرد

3) تساوي الموت والحياة عند الانسان بل ان الموت يعتبر اقرب الى الكائن الجوهري

4) تصور الحقيقة بالكشف والبديهة اكثر منها بالعقل والتجربة .

ب) أوجه التخالف :

1) النظام الطبقي متحجر عند الهنود بقدر ما هو مرن في اليابان حيث الملكية شبه راسمالية وشبه اقطاعية

2) سلطة الأب وشيخ الطريقة gourou تشكل واجبا اجتماعيا وقانونيا لا يحيد الياباني عن مقتضياته ، فالوائد الهندي قديس والاب الياباني غريم يدان له كثيرا والشيخ الياباني sensei حكيم ملم بلوازم الحياة العصرية .

3) الشكليات والطقوس الاجتماعية غامضة غير مضبوطة في الهند بينما تتسم في اليابان بالتكلف والصرامة .

4) يتبادل الناس الهدايا في اليابان ويؤدون تكاليفهم على قدر ما حصلوا من فوائد .

5) وجود تخالف في خصوص الحب الجسماني (العفاف في الهند وشذوذ جنسي في اليابان)

6) الانتحار منعدم في الهند بينما يعتبر عند اليابانيين (hara-kiri) عملا فنيا لا يتقنه سوى العارفين به .

7) الهنود يحز في نفوسهم الم مبرح له صبغة دينية لا يخشى اليابانيون سوى فقدان سمعتهم ومكانتهم في الحياة .

8) الاخلاق عند اليابان اشبه بفلسفة الذرائع (pragmatisme) القائلة بانه لا وجود لحقيقة مطلقة وان كل ما نجح هو الحقيقة وهي فلسفة سائدة عند الانجلوسكسون وتعتبر أساس نجاح الفريقين فى الحياة العصرية وهي متشابهة مع الفكر القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة .

9) والاله Kami عند اليابان لا يكاد يسمو الا بقليل عن الانسان الكامل والتصوف الياباني ليس سوى خزعبلات وجودية (34) بل نسيج من المخاريق المحاطة بهالة من الابهة وللتعبد بهذه المخاريق مغزى رائع عندهم .

ويظهر أن تعاليم التصوف اليابانى (Zen) متجهة كلها ضد التحجير وانقهر المفروضين فى قانون السيرة اليابانى ويدعو هذا التصوف الى العودة للطبيعة فيقول : « اذا جعت فكل واذا تعبت فنم كما يعلم الطفل أن يكون تلقائيا أي طبيعيا فى كل شؤونه ويهدف الى القضاء على المراقبة الذاتية بابراز ضرورة السير الى الامام دون حيرة ولا تردد كما يحطم سلطة الاب جاعلا شيخ الطريقة أو الراهب (roshi) مكان الاب .

وقد تسربت هذه الطريقة الصوفية الى اليابان أواخر القرن الثانى عشر الميلادى بعد دخول مذهب كونفوسيوس اليها بخمسة قرون وكذلك الاشكال الاولية للمذهب البوذى وقد كسب هذا المذهب نفوذا واسعا فى كثير من مظاهر الحياة والفن كالرسم وفلاحة الحدائق وتعهد الزهور وحفلات الشاي والمسايفة ورماية القوس وذلك ببعث الثقة في البداهة التلقائية واستئصال التفكير الموغل والاحتراس المفرط غير أن اللجوء الى طقوس صوفية يعتبر أمرا ضروريا ومفتاح هذا الحال هو المعروف عندهم بـ : (satori) وهو ذلك الاشعاع الكشفى المفاجىء الذى يثير الانتباه أو الاشراق عندما يتحقق الانفصال بين الأنا الفعال والأنا الملاحظ فينبثق الفعل والعمل بدون جهد آليا فى حالة من الرهبة والفزع ولهذا يكون الساطورى عبارة عن فكرة مطاطة تهدف الى تحرير الفرد من التعقيدات الذهنية والقيود الخلقية فالتعرف الى هذا الحال هو الشعور باللاشعور .

والتصرف اليابانى هو وان كان متفرعا عن التصوف الصينى Yoga ويستعمل المصطلحات السنسكريتية فانه يتجه الى منحى معكوس فالصمدى عند اليابانيين (samadhi) هو استغراق الكائن الواعى فى سبات عميق هو الفناء nirvâna وفى هذه السكرة من الكشف الفياض ينغمر اليوكى ضمن اللا شعور العالمى فيسعى للصعود من الاعماق الى السطح فالصمدى هو اذن السبات العميق والساطورى هو الاستيقاظ من هذه الغمرة .

ومن أهداف التصوف اليابانى ايقاع الفكر المنطقى المتعقل فى خلل واضطراب على أن ما يتسم به هذا التصوف من مظاهر التفكير والاستغراق الذهنى ليس سوى عملية خالية من كل روح اذ لا وجود فى نظر المتصوفة اليابانيين لا لاله ولا للاخلاق ولا لأي مذهب ولا تعاليم وانما هو ترداد آلى لنفس الشيء الى أن يتحقق نوع من السبات المغنطيسى فالتأمل ـ ان كان هنالك تأمل ـ لا يقصد منه انبثاق الروح في طفرة خارقة الى العالم العلوى وانما هو أداة لتخبيل العقل وحمله على الاستسلام ولذلك كانت النتيجة الحتمية لهذه الآلية ولهذه السطحية انهيار الروح الدينية فى اليابان منذ قديم بصورة لا مثيل لها فى العالم .

الفلسفة الصينية :

كان العلماء يعتقدون الى أوائل القرن العشرين ان العصر الصينى لما قبل التاريخ يبتدىء فى المدة المتراوحة بين 2479 و 2395 قبل الميلاد بظهور ملوك الصين Chounn, Yao, U غير أن اعادة النظر فى النصوص

---

34) الوجودية مذهب فلسفى قائل بان الوجود يسبق الجوهر ويخلقه ومعنى ذلك عند هيدجير Heidegger (فى كتابه الصادر عام 1927) وبول سارتر ان فى الوجود الفردى تكمن مشاكل اصل وجوهر ومغزى الحياة الانسانية لان طبيعة الانسان فى ذاتها لا مغزى لها ولان الانسان المتجه نحو المستقبل ليس فى ذاته سوى فراغ وعدم غير أن اندراجه الفعل فى وضع واقعى هو الذى يخلق القيم التى تضفى على حياته مغزى فيستطيع آنذاك التعرف الى جوهره الذاتي وقد وضع كل من Gabriel Marcel, Kierkegard وجودية مسيحية ادرجا فيها اسرار اعتناق المسيحية كتجربة محققة .

المتوفرة بالصين حدا الى تاريخ الوثائق الاولى المحققة بالقرن الثامن قبل الميلاد وبهذا انهارت الأسطورة القائلة بأن هذا التاريخ يمتد الى 18000 و 72000 قبل الميلاد كما انهارت ادعاءات أصحاب مذهب طاو Tao وما نسبوه الى P'an-kou الجد الخيالي للبشر .

وقد عثر اندرسن Anderson عام 1921 في Yang Chao ثم في Kansou على بقايا حضارة يظهر أن لها اتصالا عبر آسيا الوسطى بالعصر الحجري الأعلى الجديد Néolithique supérieur بفارس وروسيا وآسيا الصغرى (طروا) وبهذا تكون المؤسسات الفلاحية المقامة اصالة بمصب النهر الاصفر بالصين وبالبحر المتوسط قد امتدت الى بحر البلطيق والبحر الأسود والمحيط الهادىء (35) .

مذهب كونفوسيوس Confucius

في آخر عهد أسرة Tchéou (1122 ـ 222 ق.م.) اتسم الوضع بما يلي : خلل في السياسة واهمال لمقتضيات القانون وتناحر بين الدويلات والاستهتار بالاخلاق فظهر مفكرون أمثال كونفوسيوس (36) الذي ولد عام 551 ق.م. في ولاية لو شمالي الصين من عائلة فقيرة وقد ماتت أمه وعمره أربع وعشرون سنة فتوقف عن العمل العمومي طوال ثلاث سنوات طبقا لما تقضي به العادة في عدة الرجال الذين توفي أحد أبويهم فاستقال آنذاك من منصبه في تفتيش الاثقال

Inspection des bagages

واهتم بالتاريخ القديم ثم قام بجولات طويلة داعيا الى افكاره وقد عمل على اقرار نظام خلقي كامل وقدم كنموذج لتكمال العائلة المالكة Tchéou التي استمدت من حضارة Sia (2205 ـ 1784 ق.م.) و Chang (أو Yin : 1783 ـ 1123 ق.م.) وعندما بلغ سنه السادسة والخمسين اصبح وزيرا أول في ولاية لو Lou فاختفى اللصوص في مدة شهر غير أن بلاط Tsi وجه الى أمير لو أربعا وثمانين من الراقصات استملن الامير فاضطر كونفوسيوس حفظا لكرامته كمسئول في هذه الولاية الى التنازل عن منصبه فعاد الى تجواله ثم ختم المطاف بالرجوع الى مسقط راسه وعمره ثمان وستون سنة .

وهنا انكب على تصحيح ونشر الكتب القديمة التي كانت تشكل تراث حضارة وحكمة الصين وكتب في آخر حياته تاريخا سماه « الربيع والخريف » (722 ـ 481 ق.م.) كان يود أن يحكم عليه الناس من خلاله .

وأهم الكتب القديمة التي استقى منها خمسة اعتبرت انجيل هذا المذهب وهي :

1) كتاب التحولات Livre des mutations حول العائلات المالكة الثلاث وهي Hia (1589 ـ 1558 ق.م.) و Chang (1558 ـ 1050 ق.م.) و Tchéou (1122 ـ 250 ق.م.) وينص هذا الكتاب على وجود عالم علوي يتحكم في السفلي ويستمد أصله من مبدأ مطلق هو « الذروة العليا » كما يؤكد أن رعاية نواميس السماء تستلزم السعادة حتما بينما ينزل الشقاء بمن لا يرعاها وهذا الاتجاه هو محور الحكمة الصينية التي تدعو الانسان الى ملاحظة الطبيعة للاحتذاء بها فالحكيم الصيني يفكر فلسفيا لا للتعمق في ماهية الذات أو ذوات الاشياء ولكن للوقوف على منهج طبيعي للعمل يحتذيه .

---

35) الحكمة الصينية والفلسفة المسيحية Maitre Henri Bernard ص 16
وقد درس جوفري بيبي في كتاب حديث وضع العالم في عام 2000 ق. م كما تحدث علماء الجيولوجية وخاصة منهم العالم الفرنسي تيرميي Pierre Termier عن قارة كانت معاصرة بل سابقة للاطلنطيد وهي غندوانا Gondwana (واسمها العلمي Lemurie حيث كانت تقع الصين .
وقد صدر اخيرا بحث في (مجلة Planète العدد 17) ورد فيه ان الاطلنطيد هي اقليم اوفرني Auvergne بالساحل الفرنسي ويوجد جزء منه في Massif Central بينما يقع الجزء الآخر منذ آلاف السنين في قلب شمال المحيط الاطلنطقي وهو عبارة عن جزيرة طولها سبعة ك. م. وعرضها ثلاثة عثر عليها على عمق 3.682 مترا تحت الماء .

36) الذي حكى لنا عن حياته Ssé-Ma-Ts'ien (الذي عاش بين 184ـ185 ق. م.) في الفصل السابع والستين من مذكراته .

2) كتاب الشعر livre de la poésie : ينسب لمؤسس عائلة Tchéou ويظهر أن كونفوسيوس انتقى من قصائده (ثلاثة آلاف فى الاصل) ثلاثمائة وخمس قصائد وجعل منها كتابا مدرسيا للاخلاق تنعكس فيها النفس الصينية وتمسكها بقضايا الدين .

3) كتاب الوثائق livre des documents وهو يحتوى على خطب الملوك فى الأزمات ونصائح للحكم المثالى وقضايا أخلاقية وسير صالحى الأمراء وقد أحرق عام 213 ق.م. وأعيد نشره (بين 208 و 220 ق.م.) .

4) القاعدة الكبرى la grande règle يزعمون انه موحى به للملك Yu le Grand (2.205 ق.م.) ويقال بانه حرر عام 1050 ق.م حسب التقاليد وهو يحتوى على مبادىء الحكم المثالى كسهر الملك من أجل احتذاء الشعب بقوانين السماء ونيل جزاء يتبلور فى خمس نقط (طول العمر والثراء والسلام والترقى فى الخير وحسن الخاتمة) والمخالف يتعرض للنكبات الست (سوء الوفاة قبل الابان والامراض والاحزان والفقر وتسليط الاستبداد والضعف) .

وهذه النظرية تعتبر الملوك مختارين من السماء للحكم باسمها فرسالة الملك هي خدمة الشعب وصون سعادته فهو أب للشعب وامام روحى .

وهكذا تكون السماء أس الأخلاق الهادفة الى جعل المواطنين صلحاء خاضعين للحكم القائم فارادة الله (ويرمزون اليه بالسماء) هي المسماة بقانون الطبيعة المتنى وقد نقش الله قانونه فى قلب الانسان فهو البصيرة والنور النابع من فيض الارادة الالهية يفرق به المرء بين الخير والشر ويرى كونفوسيوس وجود اله غير منظور من خلال الأشياء المحسوسة فى هذا العالم فهو يعتقد اذن وجود اله واحد وتتبلور هذه العقيدة فى الصلوات لذلك قال Mencius بان وازع الاستقامة هو خوف الله وتقديسه ففكرة الأخلاق عند كونفوسيوس انسانية ولكن أساسها يسمو عن مستوى الأرض اذ طبيعتنا ليست سوى ارادة الله فينا والطبيعة الانسانية خيرة لأن الانسان ـ كما يقول كونفوسيوس ـ يولد مستقيما ويرى خصمه Sœum-Tsen ان هذه الطبيعة شريرة لأن خيرها مصطنع مضاف فالواجب الخلقى حسب كونفوسيوس ايجابى وانشائى يبرز فى جو من التفاؤل ويحدو الى البحث عن جذور الفضيلة المغروزة فى نفوسنا لتطويرها وحفظها .

وقد ظل مذهب كونفوسيوس الفين من الاعوام رائدا أساسيا للأخلاق فى الصين وكانت صورة كونفوسيوس معلقة على أبواب المدارس الى تأسيس الجمهورية عام 1911 .

أقوال كونفوسيوس :

ـ لا تفعل مع الآخرين ما لا ترغب أن يفعلوه معك
ـ ترقب زوالا اذا قيل تم
ـ الحكيم يتحمل الضراء بثبات والرجل العادى تستخفه الضراء
ـ التشريع الالاهى كامل لا يعتريه خلل والانسان الكامل هو الذى يتعرف الى هذا التشريع
ـ خير الأمور الوسط الوسيط
ـ الانسان الكامل هو الذى لا يعمل من اجل اشباع شهوته ولا يبحث عن ملذات الفراغ والجاه ويستجيب لداعى الواجب ويعاشر أهل الخير ويقول ما يفعل ويفعل ما يقول ويعامل الجميع دون تحيز وهو مجرد من كل أنانية أو عناد ، وينتجع الخمول وينعزل عن الناس ولا يجد فى ذلك مضضا ولا يسأل الناس شيئا ويعتقد أن له رسالة يؤديها ويقمع نفسه وهو قليل الكلام متئد متزن في النطق سريع فى عمل البر ، والانسان الكامل لا يتغير اذا عاشر الجهال لتمكنه فى العلم والعقل .

مذهب طاو Taoïsme

لاوتسو Lao-Tseu اكبر منافس لمعاصره كونفوسيوس ومذهبه مناقض تماما لمذهب خصمه فبقدر ما يتجه هذا نحو العوالم الأرضية بقدر ما ينغمر الآخر فى التأملات فى الذات الأزلية مع التجرد عن اللذات ولهذا يعيش أصحاب هذا المذهب فى عزلة عن الخلق وفى خمول .

وهم يعتقدون أن القوانين الخلقية والاجتماعية مصطنعة لانها تتنافى وطبيعة الأشياء فلذلك ينبغى ـ فى نظرهم ـ أن تترك العالم يسير يوما ليوم دون تدبير .

ولاوتسو هذا مشبع بالروح الفردية يعادى كل ثقافة مع الميل الى التصوف وكان محافظا للوثائق فى العاصمة Lo-Yang فاستقال وانعزل عن الخلق عندما انهارت الأسرة المالكة Tchéou وقد نحا كثير من الناس هذا المنحى نظرا للهرج السائد فى هذا العصر ويرجع انصار هذا المذهب الى كتاب اسمه « طريق

الفضيلة » Tao-To-King يحدوهم الى التحرر من قيود الزمان والمكان والانسياق مع تيارات هذا العالم .

وهم يبحثون باستمرار عن قانون ابدي لا يتغير يتناسقون مع مقتضياته فلذلك يدعون الى ابطال المجتمع وكل ما يصطلح عليه الناس فمذهبهم هو الوحدة والانسجام مع هذا الناموس الأزلي ولذلك مراحل ثلاث هي : 1) مشاهدة الواحد . 2) حالة الاشراق . 3) الاتحاد مع الذات المطلقة وهم ينهجون هنا ما نهجه بعدهم الصوفية في الاسلام مع تغاير يسير في الاصطلاح ومرحلة التخلية purification هي في نظرهم أشق الأحوال في الطريق الصوفي تليها فترة الاشراق المؤدي الى الاتحاد الكامل الذي يعتبرونه سرا من أعظم الأسرار le grand mystère

وترك التدبير le Non-Agir هو قوام المذهب والأمير له واجب أساسي هو عدم القيام بأي شيء كلما ازدهرت القوانين تكاثر اللصوص وكل مجهود خلقي أو ثقافي انما هو عرقلة في طريق النظام الطبيعي للأشياء .

فالحكم في نظرهم هو : افراغ القلوب وملء البطون والتجرد من الطمع وتقوية العظام ومعنى هذا أن أحسن نظام للحكم هو عدم الحكم المباشر أما الحرب فانها شيء مقيت .

وقد تأثر الأدب والفن بهذه النظرة المتحررة الى الحياة حيث يبرز السأم من الدنيا ومحبة العيش في أحضان الطبيعة فلهذا نلاحظ أن الفن الصوفي ملىء بشعر مناظر الطبيعة الصينية .

وقد ازدهر هذا المذهب الى أن بدأ ينهار في القرن الثامن بمنافسة مذهبي بوذا وكونفوسيوس .

مذهب موطي Mo Ti

عاش موطي بين 479 و 381 ق.م. وكان لمذهبه نفوذ بين 481 و 205 ق.م. وأنصاره أكثر شعبية وأقل ارستقراطية وقد اهتم بالحكماء الأقدمين مثل كونفوسيوس الا أنه حمله مسئولية الاضرار بالمجتمع وعدم صلاحية مذهبه لانقاذ الأرواح لأن أنصار كونفوسيوس لا يومنون بوجود الله ولا بوجود الأرواح ويثقلون كاهل الشعب بالمآتم الفادحة والواقع أن كونفوسيوس لا يهتم بمصير الانسان بعد الموت .

لهذا اقترح موطي في هذه الظروف المضطربة علاجا واحدا لهذا الداء وهو العودة الى عبادة الله والأرواح مع اتباع نظام صارم هو نباتية الطعام والفقر وحب الانسانية ومحاربة العدوان والدعوة الى السلم بين الشعوب .

وبعد وفاة موطي تشعبت مدرسته الى ثلاث فرق متناحرة مما أدى الى انتعاش مذهب كونفوسيوس بين 20 الى 220 ق.م. . ثم انتعش المذهب الموطي بين 1744 – 1794 بعد الميلاد ولكن كتبه المحرقة لم يعد نشرها الا في القرن السابع عشر .

ويقول موطي بأن السماء هي الله الذي يعاقب ويجازي بعدل ولا يكلف نفسه عناء التدليل على وجود الله لأن الشمس لا يستدل على وجودها .

والملك خليفة الله في الأرض وهو مقدس ونموذج للشعب وهو بطل وحكيم وصالح وأب الشعب وليس هو في سلك الآلهة والأرواح الخيرة والله وحده هو المشرع والملك ينفذ ولا نجاة للمجتمع دون العمل الموصول من أجل الانسجام مع الارادة الالهية فيجب اذن التعرف الى هذه الارادة مع حب الانسانية واعتبار هذا الحب كتعبير منطقي عن تلك الارادة .

ويحمل موطي على كونفوسيوس لتجزئته هذا الحب الانساني الى حب عائلي له الأسبقية الى حد أن جميع الفضائل تحصر في تبجيل الأبوة والواقع أن موطي لا يهدف الا الى هدم الفردية الأنانية التي هي أحد أسباب نكبات المجتمع وانعدام الحب الانساني يؤدي بالمجتمع الى الاضطراب والجور وقد قال باسكال : « كل الشرور آتية من الميز بين أنا وأنت ومالي ومالك فمن هنا جاءت الخلافات والحروب » .

وقد حظر موطي الحرب لأنها أداة لفرض المطامح السياسية مع تحفظ واحد وهو أن السلام الذي يعتبر شرطا جوهريا للسعادة لا يكون كذلك الا اذا نتج عن العدل والحب الانساني فالانضياع للعدوان لا يسفر عن السلام بل عن الاستعباد فلهذا كانت الحرب الدفاعية واجبا من الواجبات .

البوذية

المذهب البوذي هندي الأصل ولم يدخل الى الصين الا بعد مرور خمسة أو ستة قرون على انتشاره في الهند وفارس وآسيا الوسطى والغربية وقد ظهر لأول مرة في حدود اقليم نيبال بالهند خلال النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد واذا كان بوذا يعتبر أسطورة فان شخصه يرمز الى التصوف المؤدي الى الاشراق والفناء

ويريد أن يعطى للبشرية طريقا للنجاة دون اللجوء الى الآلهة ويستمد الاحبار البوذيون مبادىء حياتهم اليومية من مناقب شيخهم الأسطورية التى تتلخص فى الدعـوة والتبشير والتسول والعفاف .

ويعتبر ساكيامونى Sakyamouni صورة لبوذا وقد عاش فى حوض الكانج بين سنتي 563 و 480 ق.م. الا أن التاريخ الرسمى يؤكد أن البوذية تسربت الى الصين بين عامي 60 و 70 بعد الميلاد وقد أثر مذهب طاو فى البوذية مما أدى الى انبثاق اتجاه صينى عنـد البوذيين وقد أصبحت البوذية هي الدين الرسمى فـى الصين بين 284 و 220 ق.م. وامست نسبة معتنقيه عام 405م تسعة أعشار السكان وقد ازدهرت الكنيسة البوذية خلال ثلاثة قرون (620 الى 906م) فبلغ عدد الأديـار البوذية فى مدينة واحدة واحدا وتسعين (منها سبعة وعشرون للنساء) والفكرة الجوهرية التى ترتكز عليها البوذيـة هـي عـدم البقـاء la non-permanence اذ كل شيء زائل عـارض حتى الالـه المزعوم براهمـا Brahma رغم اعتباره من طرفهم خالق العالمين والأرواح نفسها غير قارة فلذلك تنتقل من جسم الى جسم عند الوفاة وهذه هي نظرية التناسخ والأعمال المحققـة قديما القدرة (Karma) على خلق ظروف جديـدة بل وجود جديد ولذلك يشعر الانسان أحيانا انه سبق له أن عرف هذا الشيء أو ذاك لأن روحه هي العارفـة والمجربة لذلك الشيء فى الأزل ، فالبوذية اذن متشائمة لأنه لا شيء فى الوجود يستحق فى نظرها أن يتعلـق الانسان به والسعادة كل السعـادة فى عدم الوجـود والراحة الأبدية أي فى الفناء فالمريد الذى ينـدرج فى حال الفناء ينطفىء كالشمعة .

وقد انقسمت البوذية ى القرن الثالث قبل الميـلاد الى ثلاث فرق منها ماهايانا (Mahayana) القائلة بأن الحقيقة تكمن فى الروح وحدها أي أن الـروح هي نفسها الموجودة حقيقة فى حيـن أن العالـم الخارجى المحسوس ليس سوى فيض عن هذه الروح وكل الأحداث والظواهر الكونية لها مسرح واحد تتحقق فيه هو الروح وفى وسع الانسان أن يدرك مغزى العدم المطلق الذى هو حقيقة مستديمة وذلك بالتخلص مـن المطامـع وشهوات النفس وتهدف طريقة ماهايانا الى انقاذ الانسانية جمعاء في حين تتجه طريقة هينايانا Hinayana الى تحقيق السلامة الفردية متسمة بشيء غير قليل من الأنانية .

وقد ظهرت فروع اخرى للبوذية احدها الأميديسم Amidisme او طريق الارض الطاهرة التى تشبـه الماهايانا واستاذها هو هواي يوان Houei-Yuan (334 – 416م) الذى هو شيخ الحركة فى الهند الصينية والصين واليابـان وقد سـاد هـذا المذهب فى الصيـن وانصاعت له النفوس فى القرن العاشر الميـلادى الا أن انهيار البوذية استتم فى العهد المتراوح بين 960 و 1127م ويزعم الأميديسم أن الكائنات الحية كلها خاطئة منـذ القدم وان الارواح تتحمل ثقـل ما ورثتـه فى حياتهـا السالفة ويمتاز هذا المذهب بديموقراطية دينية يتعادل فيها كافة المريدين ضمن مستويات خالية من كـل التراتيب الصوفية .

وفى القرن السادس الميلادى ظهر فرع جديد هو مدرسة تشـان (Tchan) وهو مزيج مـن البوذيـة الهندية والفلسفة الصينية يؤدى الى اشـراق مفاجىء ويقول بأن خير الطرق للتثقف والرقي فى مدارج العرفان هو عدم العمل من اجل الحصول على ثقافة ولذلك ينبنى على فكرة الثقافة فى ترك الثقافة (وهو شبيه بالمذهب الصوفى القائل بالتنوير فى ترك التدبير) لأن النضج ينبثق عن اشراقة مفاجئة فمن اشرق قلبه بنور العرفان انحلت مشاكله فى نفس الآن وانتقل مـن الوهـم الى الحقيقة الوضاءة والحكمة الفياضة وهذه النظرية تناقض ما قاله البوذيون من أن التطور تدريجى لا يتم الا بتراكم متصاعد للمعارف والتجارب والنتيجة الحتمية لهـذه النظرية الجديدة هي أن المعرفة ذوقية لا تفى بها الاشارة ولا تكتنفها العبارة فلهذا يزعم انصار هذا المذهب انـه لا حاجة لهم بالمظاهر الخارجيـة كالتقـوى والتقشف والعبادة ودراسة النصوص الدينية فالتامـلات وحدهـا كفيلة بادراج المريد فى حالة الدهش واختطاف الحس والوصول فى لمح البصر الى مرتبة الكمال .

عبد العزيز بنعبد الله

المـراجـع :

1) الفلسفة الصينية بقلم Chow Yih-Ching
Presses Universitaires de France (Paris 1956)

2) الحكمه الصينية والفلسفة المسيحية
Sagesse chinoise et philosophie chrétienne
Henri Bernard Maître

3) كونفوسيوس
Confucius par Marc Semenoff
(Collection Sagesse - Paris)
Le Lotus et le Robot, Arthur Koestler (Paris 1961)